غريب — من أجل مساعدة صديقه الذي يريد التودد من بورشيا الغانية الثرية ووارثة الجاه الكبير .

من ناحية اخرى شايلوك مراب من مخلفات العصور الوسطى كان يمثل في يوم من الايام عنصرا هاما يعيش في مسامات مجتمع الاقطاع والاقتصاد الطبيعي (على حد وصف ماركس) بسبب تخصصه في التعامل بالرأسمال السائل . ولكنه تحول في الوقت الحاضر الى عقبة في وجه البورجوازية التجارية الجديدة التي تعمل بحكم مسارها الطبيعي على تدميره واستئصاله لصالح أساليبها الجديدة في انتاج الثروة وتعمل للحلول محله بحيث يتم اخضاع الرأسمال الربوي الى مصالح الرأسمال التجاري الجديد . اي ما يسميه ماركس في المجلد الثالث من «رأس المال» «بمطلب اخضاع الرأسمال الربوي ووسائل الانتاج القابلة للتسليف عامة الى نمط الانتاج الرأسمالي »(١). ولا تتم مثل هذه العملية بطبيعة الحال ، الا عبر صراع اجتماعي واقتصادي مرير تنتصر فيه فئات وتذهب ضحيته فئات اخرى ومن هنا مأساة شايلوك ودماره في نهاية المسرحية. ومن هنا بروز المسألة اليهودية . يقول ماركس في وصفه لهذه الظاهرة في المجلد الثالث من « رأس المال » ما يلي : « لقد نشأت مؤسسات التسليف في القرنين الثاني عشر والرابع عشر في البندقية وجنوا من حاجة التجارة البحرية وتجارة الجملة المرتبطة بها الى تحرير انفسهما من سيطرة الربا المتخلف ومن احتكار السوق المالي ... وينبغي الا ننسى ان التجار الذين أنشأوا هذه المؤسسات كانوا مواطنين بارزين في هذه الدول وكانوا مهتمين بتحرير حكوماتهم بقدر اهتمامهم بتحرير أنفسهم من مطالب المرابين بالاضافة الى ممارسة سيطرة أشد واضمن على الدولة »(٢).

لذلك نجد أن اجواء شايلوك تتسم بالانقباض والضيق والتدهور ، بالشك والخبث والتكتم ، وبالتمسك بما هو كائن في محاولة من قبل من يدافع عن نفسه ووجوده واستمراره من موقع الضعيف والخاسر والمضطر لذلك الى اللجوء الى الحيلة والخبث والاساليب الملتوية في مواجهة القوى العاتية التي يستشعر أنها ستجرفه . ان طبيعة الصراع بين القوى الاقتصادية والاجتماعية التي يمثلها انطونيو (الرأسمالية الناهية) من ناحية والتي يمثلها شايلوك (الرأسمال الربوي الذي احتكره اليهود لفترة طويلة) من ناحية اخرى واضحة في مسرحية شكسبير وهي كامنة خلف كل مظاهر الكراهية والاحتقار والرغبة في الانتقام التي تطبع العلاقة بين الشخصيتين في المسرحية .

يفسر شايلوك بغضبه لغريمه بقوله ان انطونيو « جاهل أبله ، يقرض المال بلا ربح ، ويسقط قيمة النقد في البندقية . لئن اخذت بتلابيبه يوما لقد شفيت حزازاتي القديمة منه . هو يبغض امتنا المقدسة ويسخر — حتى في المصفق الذي يجتمع فيه التجار عادة — مني ومن معاملاتي ومن ارباحي المحللة التي ينعتها بالربوية . لعنت عشيرتي ان كنت غافرا له هذه الذنوب . »

في الواقع لقد طلب انطونيو القرض لاسباب تافهة لا تدل في الواقع الا على تدني نوعية المناسبة التي يضطر فيها مثل هذا التاجر الصاعد لخدمات خصمه المحتقر والمنبوذ في الاوساط المالية الجديدة، كما يدل قبول انطونيو رهن قطعة من لحمه مقابل المال على حقيقة نظرة طبقته الى خصمه وما يمثله من مصالح سائرة في طريق الاندثار ، بالاضافة الى ثقته اللامحدودة بانتصار تجارته وارباحه في المستقبل .

عندما طلب انطونيو المبلغ من شايلوك أكد شكسبير مرة اخرى طبيعة الصراع بينهما وحقيقته بقوله على لسان المرابي مخاطبا التاجر : « يا سنيور انطونيو طالما صادفتني في مصفق الريالتو فسخرت من اعمالي المالية ومن مراباتي ، فلم اقابل ذلك الا برفع الكتفين ، وجميل الصبر لان الالم هو احدى الافات التي خصت بها امتنا . وطالما نعتني بالكافر، أو الكلب الكلب (بفتح الكاف وكسر اللام) ، وبصقت على عباءتي التي يعرف منها النساس يهوديتي ، كأنك تعيبني لاستعمالي ما هو ملكي . أما الان فيظهر انك في حاجة الي : « شايلوك نريد منك نقودا » من يقول لي هذا ؟ انت يا من ينفث في لحيتي لعابه ، ويطردني من حضرته ركلا ، كما يطرد الكلب الغريب من عتبة البيت . تطلب مني مالا ! فيم ينبغي ان اجيب ؟ أيحرز الكلب نقودا ؟ أيعقل ان كلبا يقرض ثلاثة الاف دوقي ؟ ام يتعين علي ان أخر ألى الذقن ، وان ارد عليك بصوت خافت ، وقلب خاشع « يا مولاي الجميل ! يوم الاربعاء المنصرم بصقت

١ — الطبعة الانكليزية ، دار التقدم ، موسكو، ص ٥٩١ .
٢ — المرجع السابق ، ص ٥٨٨ .